"أرواح لا تُقهر"

أيها الراحلون نحو الخلود...
ما كنتم أشخاصًا، بل كنتم أممًا تمشي على أقدامٍ من لحمٍ ودم،
وكنتم تاريخًا يخرج من رحم الجغرافيا لينقذ العالم من عاره.
لم تكونوا حكايةً تُروى، بل كنتم نارًا تُوقد، وماءً يسقي، وهواءً ينعش صدور المستضعفين.

أبو مهدي...
أيها الوالد الذي لم يكتفِ بأبنائه، بل تبنّى أمةً كاملة تبحث عن أمان،
أيها الجذر المغروس في أرض العراق، الممتد نحو كل بيت، كل قرية، كل دمعة يتيم.
لقد عرفت كيف تكون المقاومة حضنًا قبل أن تكون بندقية،
وعرفت أن الرجال الكبار لا يقاتلون ليُذكروا، بل ليُحيا الناس بكرامة.
دمك لم يختفِ يوم ارتقى، بل صار ماءً في دجلة، وصار طميًا في الفرات،
وصار قمحًا في بساتين الجنوب، وصار نخلاً في السماوة والناصرية،
وصار أغنيةً يتوارثها الفقراء كي لا ييأسوا.

قاسم...
يا نصل الشرق المشرع في وجه الطغيان،
يا رجلًا من لحمٍ ودم، لكنه كان يُقاتل كأنه جيش من الملائكة.
عرفناك قائدًا، لكنك كُنت أخًا في الليل حين تضع رأسك إلى جانب جريح،
وكنت ابنًا بارًا حين تضع يدك فوق رأس ثكلى،
وكنت أبًا عظيمًا حين تضمّ يتيمًا وتحمله بين يديك كما لو أنه ابنك.
ما كنتَ تبحث عن الموت ليُزيّنك،
بل كنتَ تبحث عن حياةٍ تُزيّن البشرية.
وحين جاءك الموت، لم يقتلك، بل منحك حياةً أكبر من حدود الزمن.

أيها القادة...
لقد علمتمونا أن الجسد قد يسقط، لكن الفكرة لا تسقط،
وأن الصوت قد يُخنق، لكن الصدى يظلّ يدوّي في كل أرض.
علمتمونا أن الإرادة لا تُشترى،
وأن الدم حين يُسفك في سبيل الله والوطن،
لا يتحول إلى تراب، بل إلى شمسٍ لا تغيب.

ظنّ الطغاة أن اغتيالكم سيُسكت التاريخ،
لكن التاريخ اليوم يتحدث بلسانكم،
والأجيال الصغيرة التي لم تَرَكم،
تحفظ أسماءكم كما تحفظ أسماء الأنبياء والأولياء.

أنتم لستم مجرد شهداء...
أنتم المعنى، أنتم القصيدة، أنتم الوصية.
أنتم ملوحة الأرض إن فسدت،
وأنتم خضرة الروح إن جفّت،
وأنتم سرّ النصر إن خانت جيوش الحديد والعتاد.

ها أنتم في وجدان كل مقاوم:
في الحجر الفلسطيني الذي يتحدى الدبابة،
في المقاتل اللبناني الذي يكتب على الحدود "هنا وقفنا ولن نعود"،

في العراقي الذي ترك زاده وبيته ليقف في مواجهة وحش داعش،
في كل أمّ شهيد لا تبكي لأنها فقدت، بل تبتسم لأنها أنجبت بطلًا.

يا شهداءنا...
لقد جعلتم من أجسادكم جسرًا تعبر فوقه الإنسانية،
ومن أصواتكم جدارًا تصدّ به زلازل الإرهاب،
ومن استشهادكم ولادة جديدة للكرامة.

سلامٌ عليكم...
يوم ولدتم أحرارًا، ويوم سرتم على درب المقاومة،
ويوم ارتقيتم شهداء، ويوم تبعثون...
أنتم النصر، وأنتم الفجر، وأنتم الوعد الذي لا ينكسر.